تفاعل التاريخي والروائي في "كتاب الأمير" لواسيني الأعرج

أ.د/ أحمـــد الجـــوة جامعة صفاقس–تونس

مقـــــــــدمة:

تشترك المصنفات التاريخية والأعمال الرّوائية في الاهتمام بالزمان لكن الزمان التاريخي في كتب التاريخ زمان منقض يستعاد بالسرد لتثبيت حركته في الذاكرة البشرية وتيسير تمثله في العملية التربوية قصد الإحاطة بوقائعه والاعتبار بمجرياته. ومن طبيعة هذا الزمان أنه زمان مرجعي بكثرة ما يحيل عليه من مسميات الأمكنة والأعلام ومن تحديدات التواريخ والأعوام. وإذا كان الزمان في الأعمال القصصية القديمة والحديثة وفي مصنفات السير الدينية والشعبية زمانا يحاكي زمان الإخباريين والمؤرّخين بما ينقله من أقوال وأفعال وبما يسرده من حياة الأفراد والأبطال، فإنّ هذا الزمان الذي يبدو مرجعيا بتعدد الإحالات على الأحداث والأمكنة وبكثرة ما يرد في نصوص الروايات من تسميات وتحديدات خاصة في القصص الواقعي، ليس في الحقيقة زمانا مرجعيا صرفا يطابق الزمان التاريخي الذي يستدل على حقيقة ما جرى فيه بالشهادة الموثقة والوثيقة المدعمة.

لقد قدم المختصون في المباحث السردية تمييزات مهمة تيسر إدراك الفروق بين السرد التاريخي (Le récit historique) والسرد الروائي(Récit romanesque) فجيرار جينيت يقيم تعارضا بين السرد الحدثي (Le récit factuel) الذي يقدم فيه نظام الأحداث اعتمادا على مصادر أخرى، والسرد التخيلي (Le récit fictionnel) الذي لا يعرف فيه نظامها والذي تكون فيه الانقطاعات (Les anachronies) نتيجة لذلك غير متحددة. والناقد الفرنسي يستند إلى موقف بربارا هرنشتاين سميث ومحصلةُ أن السرد الوقائعي (الحدثي) والسرد التخيلي يتمايزان كليا (جوهريا) لا باستعمال الانقطاعات الزمانية ولا بالطريقة التي بها يظهر أنها يعلنان بها عنها[1].

والتعارض بين الزمن التخيلي والزمن التاريخي تعارض أكده بول ريكور من زاوية فلسفية لما أرجعه إلى تجاوز السارد الذي لا نماهيه بالمؤلف – الالتزام الأكبر الذي

يفرض على المؤرخ: إنه الخضوع للواصلات المخصوصة باندراج الزمان العيش في الزمان الكوني [2].

وحين يعول الروائي على مواد التاريخ وبيني الحبكة القصصية في الرواية بمعطيات حادثة مرجعية وقعت، أو بعناصر شخص تاريخي معروف في ثقافة من الثقافات الغربية من زماننا أو الضاربة في العصور الغابرة (عصر الفراعنة في روايات نجيب محفوظ)، لا يكون غرضُه في عمله الروائي تسجيل ما وقع من حادثات أو تمثيل تاريخ هذا الشخص تمثيلا صادقا وحقيقيا، وإنما هو يبني نصا أدبيا لهذا لا مندوحة له من تخييل تاريخ الحادثات وأعلام التاريخ (La fictonnalisation de l'histoire générale ou individuelle) وهذا ما توخاه عديد الروائيين العرب بداية من جرجي زيدان السابق إلى هذا النهج في كتابة الرواية مرورا بعبد الرحمان منيف ونبيل سليمان ورضوى عاشور وجمال الغيطاني وهدى بركات وربيع جابر وممدوح عزام.

وإذا كانت لكل روائي عربي اختياراته الخاصة للمواد التاريخية بسبب الانبهار بحقبة من أحقاب التاريخ العربي الإسلامي، أو للدفاع عن حقبة ولّت، أو الرغبة في لّم شتات ما تفرق من سيرة حياة، فإن الروائي الجزائري واسيني الأعرج "تخير العودة إلى تاريخ النضال الجزائري ضد الاستعمار الفرنسي وبأر هذا التاريخ بتخصيص " كتاب الأمير"[3] لسيرة حياة القائد الوطني الأمير عبد القادر الجزائري.

فما هي الوجوه الدالة على تخييل هذا التاريخ؟ وكيف تفاعل الروائي والتاريخي في هذه الرواية؟

1- أثر التفاعل في العنوان والنص:

وسم المؤلف هذه الرواية بعنوان أصلي (كتاب الأمير) وبعنوان فرعي (مسالك أبواب الحديد) ودون خوض معمق في مسألة العنونة وفي جملة الوظائف التي يحققها عنوان الأثر نكتفي بالإشارة إلى أن هذا العنوان يترع في الظاهر إلى الاقتراب من عنوان تأليف مخصوص بالسياسة وبطرائق الحكم في القرن السادس عشر ونعني به كتاب الأمير (1513. Le Prince) للسياسي الايطالي نيكولا ماكيا فلّي (1469-1527) غير

أن هذه القرابة الظاهرة في عنونة التأليفين سريعا ما تغدو تباعدا بمجرد المقارنة بين محتوى العملين:

– ثمة مشابهة ظاهرة بين عنوان هذه الرواية وعناوين المصنفات التاريخية القديمة التي يدور التأريخ فيها على الأمراء والسلاطين.

– يتخلص عنوان هذه الرواية من الشحنة المرجعية التي تملأ المصنفات التاريخية فلا يتحدد الشخص التاريخي بالإسمية والعلمية. إن الإضافة التي ركب بها العنوان لا تحقق التعريف الذي يناط أمره بهذه الطريقة من طرائف التعريف والتخصيص في العربية.

– ينزع العنوان الفرعي لهذه الرواية إلى الإيحاء والترميز: فمسالك أبواب الحديد تسمية موحية بما تعرضت له حياة الشخصية الروائية من تقلبات بين النصر والهزيمة، ومن تنازع بين التشبث بأرض الجزائر واضطرار إلى الابتعاد عنها وقبول حالة المنفى.

2– التفاعل داخل أقسام الرواية

قسم واسيني الأعرج روايته هذه أقساما ثلاثة على هذا النحو:

I-باب المحن الأولى

II-باب أقواس الحكمة

III-باب المسالك والمهالك

لهذه التسميات الواسمة للأقسام الكبرى للرواية بعدها القصصي وعمقها المجازي وبهما تخرج المسميات الروائية على مألوف التسميات التاريخية. إن تسمية الباب الأول (المحن الأولى) ترتبط بالتصوير القصصي لتجربة المعاناة التي واجهها الأمير عبد القادر، وتسمية الباب الثاني (باب أقواس الحكمة) تعبير فيه مجاز الاقتران بين المحسوس وغير المحسوس وتخيل الاستعارة بإضافة الأقواس إلى الحكمة. وأما تسمية الباب الثالث فلا تبعد عن منزع الإيحاء بما عاناه الأمير بعد أن أجبر على توقيف الحرب ضد المستعمر وعلى إلقاء السلاح، ونسبة الباب إلى المسالك والمهالك نسبة على المجاز لا على الحقيقة

لأن الباب يكون في الأصل للبناء المسقوف أو المسيّج بينما تفتح المسالك والمهالك على مجهول المصائر وغريب النهايات .

إن مجاز التقسيمات الروائية أشد ظهورا في التقسيمات الفرعية داخل كل باب من الأبواب الثلاثة التي تضمها هذه الرواية. لقد عوّض المؤلف التسمية المألوفة في التأليف الإبداعي والنقدي (الفصل) بتسمية أخرى أقرب إلى تأمل الحادثة من تمثيلها بالتصوير والسرد: إن الوقفة التي تقسم بمقتضاها المادة القصصية في كل باب من أبواب الرواية هي من مصطلحات السرديين في تحليلهم للنص القصصي، وهي كما حددّها جينات التوقف الحاصل من جرَاء المرور من سرد الأحداث إلى الوصف أي الذي ينتج عنه مقطع من النص القصصي تطابقه ديمومة صفر على نطاق الحكـــــاية وقد ترتبط الوقفة أو التوقف بما يسمى بالوصف الذاتي. (4)

وإذا استندنا إلى الجذر اللغوي لهذه الكلمة (و/ق/ف) أمكننا تقريب هذه التسمية – التقسيم من اصطلاحات الصوفيين. إن الموقف عندهم هو حالة انجذاب يكون فيها الصوفي متوجها إلى الذات الإلهية العلية ينصت إلى كلامها وَينشدُّ إلى قداستها على نحو ما نجده في كتاب المواقف والمخاطبات "لمحمد بن عبد الجبار النفري.

وأظهر ما تكون عليه مجازية العبارة في التقسيمات الواسمة لهذه الرواية ما نجده في العناوين الداخلية في كل باب: لقد أشبعت هذه العناوين إيحاءا وتصويرا تغدو بهما متضمنة كلاما أقرب ما يكون إلى الشعرية.

لقد اشتقت عديد العناوين من عالم المتصوّفة ومعجم اصطلاحاتهم: إن تسميات من قبيل منزلة الابتلاء الكبير ومدارات اليقين ومواجع الشقيقين وضيق المعابر وسلطان المجاهدة ترتبط وثيق الارتباط بما يحياه الصوفي أوقات المجاهدة للترقي في الأحوال والمقامات قبل بلوغ سدرة المنتهى ومقام التجلي والكشف. وأما التسميات الأخرى التي تضع حدود هذا العمل الروائي من قبيل "مرايا الأوهام الضائعة" ومرايا المهاوي الكبرى وفتنة الأحوال الزائلة فلا يخطىء الناظر فيها ما تنطوي عليه من كلام شعري وما تؤشر إليه من اقتراب هذه "العتبات " الصغرى من عالم التخييل بالكلام القصصي. وإذا بحثنا في امتداد هذه التسميات داخل ردهات الرواية. وجدناها متينة التعلق بأطوار

التجربة الكبرى التي خاضها الأمير عبد القادر الجزائري طيلة السنين الخمس عشرة التي أمضاها مقاوما للاستعمار الفرنسي. إن جريان المجاز في هذه المسالك الصغرى التي تتحرك داخلها مصائر الشخصيات وتتجلى فيها أحلامها طورا وانكسارات نفسها أطوارا، جريان تغاير به هذه القرائن الروائية ما تبدو عليه لغة المؤرخين من جفاف ونزوع إلى الحياد.

وإذا عمقنا النظر في تقنية التقسيم الروائي التي تخيرها المؤلف وفي هندسة بنائه لهذا النص المطول وجدنا فيه نمطا قارا مثله تصدر الأبواب الثلاثة بلفظ الأميرالية، وهذا حيز له اتصال بالديانة المسيحية وبمن يكونون قوامين على تعاليمها وعلى ما تدعو إليه من بذل وتضحية من أجل الآخرين.

إن ورود هذه التسمية – التقسيم في بداية الباب الأول، وفي بداية الباب الثاني، وفي بداية الباب الثالث وفي خاتمته أيضا، دليل على أن بناء الرواية نحا نحوًا دائريا تتصل فيه النهاية بالبداية. وهذا بناء يغاير تماما بناء النص التاريخي الذي يتدرج من الماضي البعيد إلى الماضي القريب، ومن الزمان المنقضي إلى الزمان الحالي وذلك في حركة خطية تعاقبية وفي تسلسل لا تنقطع حلقاته. بهذا البناء الدائري وبهذه الصياغات المجازية الظاهرة في التقاسيم الكبرى للرواية وفي تقاسيمها الصغرى تتشكل الرواية أثرا فنيا له قسماته وسماته، وتغادر مسالك التأليف المعهودة لدى الإخباريين والمؤرخين فتحقق انتماءها إلى مجال الإبداع الأدبي و تبرز هويتها الإنشائية.

للتفاعل بين الرواية والتاريخ في "كتاب الأمير" ميسم آخر يتجسد في الحجم وهذا ميسم قار في النمط الروائي المنبني بمواد التاريخ. لقد تجاوزت صفحات هذه الرواية خمسمائة وخمسين صفة (553). وهذا الامتداد النصي له وثيق الاتصال بسيولة التاريخ وبامتداد حركته في الزمان. وإذا كان المدى الزمني الذي استغرقته أحداثها لا يتجاوز 15 سنة[5] مقارنة بأزمنة ممتدة تشمل جيلين أو أكثر من أجيال عائلة واحدة كما في "ثلاثية نجيب محفوظ" أو تغطي حقبة طويلة تشهد فيها المنطقة تحولات سريعة مثلما هو الشأن في خماسية عبد الرحمان منيف (مدن الملح)، فإن تبئير القص لهذه السنوات المعدودات ولد نصا مطولا بفضل ما توخاه المؤلف من تنقلات بين سنوات

الحرب وسنوات السلم ومن تصوير لآثار الحادثات في النفسيات ومن لقاءات ومحاورات تنعقد بين أنصار الأمير عبد القادر من جهة وبينه وبين خصوم الأمس الذين صاروا له أصدقاء يكرمون وفادته ويسّهلون مغادرته إلى حيث نوى الرحيل وطلب المستقر(6).

3- تلبيس الروائي بالتاريخي

يعُج كتاب الأمير بذكر التواريخ وتتعدد فيه الإحالات التي يمكن التأكد من صحتها والتثبت في حقيقتها التاريخية. لقد أحصينا عددا كثيرا من الإشارات إلى تواريخ مضبوطة مقيدة بالأيام والسنوات(7).

لا شك في أن هذه التواريخ ترتبط بأحداث مرجعية شهدتها الفترة المحددة التي بأرتها الرواية بأساليب القص، وفي أن المؤلف تفحص عديد الوثائق لاستجلاء معالم المرحلة التي اهتم بكتابتها روائيا. وإذ كانت مسألة المطابقة بين التأريخ الروائي والتأريخ الحقيقي لما جرى من أحداث ولصنيع الشخصيات، ولما تمّ من محادثات ومحاورات، مسألة ليست ذات أهمية في النقد الروائي باعتبار الرواية عملا فنيا أساسه التخيل واصطناع العوالم الممكنة وحتى الغريبة أو المفزعة كما في الرواية الفانتاستيكية وفي الروايات البوليسية وروايات الخيال العلمي. وقاعدته المتينة الإيهام بأن ما جرى قد جرى وذلك بقوة التأليف ومتانة التركيب. فإن ما يعنينا في هذا السياق من البحث هو تصنيف التواريخ المذكورة وكيفية إيرادها داخل هذه الرواية ونوع المسار الذي اندرجت فيه هذه التواريخ وألوان الوظائف التي قامت بها.

تصنيف الإشارات التاريخية:

ترتبط التواريخ في هذه الرواية بمجالات عديدة يمكن حصرها في ما يلي:

1- **مجال العقيدة والديانة** :تؤرخ الرواية لشخصية رجل الدين المسيحي مونسنيور ديبوش الذي افتتحت الرواية بتنفيذ وصيته واختتمت بذكر تاريخ دخوله

أرض الجزائر. ففي سنة 1838 عين دييوش أول قس للجزائر من طرف البابا عريغوار السادس عشر، وفي هذه السنة تسلم تمثال العذراء من يد مونسنيوردي كيلين أسقف باريس[8] وفي سنة 1864 نفذ جون موبي المرافق الدائم لهذا القس وصية من عدّه أباه وأخاه فنثر بقايا رفاته على مياه أرض الجزائر.

وليس افتتاح الرواية واختتامها بتاريخين أساسيين في حياة هذا الرجل سوى إقرار بعظيم ما قدمه لهذه الأرض التي تفاني في خدمة أهلها واستمات في الدفاع عن حرية أميرها عبد القادر، فلا غرو أن تتخلل الرواية قرائن قصصية وإشارات مؤرخة لسيرة حياة "دييوش": لقد كتب في 17 جانفي 1848 رسالة موجهة إلى لويس نابليون بونابرت[9] واضطر إلى مغادرة الجزائر نحو إسبانيا هروبا من إلحاح الدائنين في استرجاع مستحقاتهم وبسبب عجزه عن تسديدها[10].

إن الرسائل المتبادلة بين هذا القس والأمير عبد القادر من قبيل الرسالة الموجهة من الأمير إلى دييوش بتاريخ 24 صفر سنة 1265 هجرية[11] مما يؤكد منزلة هذه الشخصية ورغبة السارد في توثيق سيرتها وتمثيل مسيرتها الكبرى في زمان الرواية.

وليس يخفى على الناظر في تواريخ هذه الشخصية كيف وظف السارد الناظم للأحداث وللعلاقات بين الشخصيات هذه الإشارات المرجعية في الإبانة عن منزلة القس المسيحي في العالم القصصي داخل هذه الرواية الممتدة وفي إبراز الوجه الوضاء لمنظومة القيم الدينية والدنيوية التي سعى طيلة حياته إلى تجسيدها في حياة الناس. إن افتتاح الرواية بمشهد الاحتفاء بالتربة المنقولة من مدينة بوردو الفرنسية وزرعها في أرض الجزائر وفي أبعد وأنظف نقطة حيث لاشيء سوى الصفاء والنور والحياة الصامتة للأشياء كما في بدء الخليقة[12] افتتاح له أكثر من مغزى وهو تعبير عن أعمق قيم التسامح والبذل والتضحية وعن نبذ كل أشكال التطرف الديني والعرقي.

2- مجال النضال والصمود

يورد كتاب الأمير عددا من التواريخ الخاصة بالعلم الوطني الذي تسمت باسمه هذه الرواية. لقد أرخت بعض الرسائل التي كتبها الأمير عبد القادر بن محي الدين

ومنها رسالته إلى المونسنيور ديبوش قس الجزائر وقد أرخها بـــ 24 صفر من سنة 1265 هجرية [13] ورسالته إلى القبائل وأعيانها يعلمهم فيها بإجماعهم على مبايعته أميرا[14]، وضبطت تواريخ ما عقده الأمير من معاهدات ومن ذلك معاهدته مع دوميشال في حدود 1833[15] ومعاهدة أخرى أبرمها مع الفرنسيين في 25 فبراير 1934[16].

ولما كان عالم الرواية مقاما على حركات الصراع بين المقاومين الجزائريين والمحتلين الفرنسيين أورد السارد عددا من التواريخ الضابطة للمعارك التي دارت بينهم وذلك من قبل تحرك قوات دو ميشال استعدادا لمباغتة المقاومين في وهران في 7 ماي 1833[17] وخروج الأمير لمحاربة الدرقاوي وولده في 22 أفريل 1835[18] وتوجه بوجو نحو آخر ميناء (ميناء رشقون) في 4 جويلية 1836[19] وحصار مدينة عين ماضي وحرقها في 12 جانفي 1839 [20] وخروج العقون على رأس جيش جرار لدحر جيش الأمير باتجاه الجزائر[21]. وإذا كانت الرواية تورد هذه التواريخ الخاصة بالمعارك العسكرية بين هذه القوى المتحاربة فإنها تورد أيضا تواريخ تخص حياه الأمير بعد أن ألقى السلاح وظل حبيسا خمس سنوات رغم تعهده بعدم محاربة جيش فرنسا قبل أن تأتيه زيارة لويس نابليون بونابرت إلى قصر أمبواز بقرار حريته في 16 أكتوبر 1852[22] وهذا قرار أتاح له التجول في باريس يوم 28 أكتوبر 1852 [23] ومهد لتحديد رحيله إلى بروسيا في دولة السلطان [24].

لا شك في أن جملة هذه التواريخ المضبوطة بالأيام والسنوات تختصر المفاصل الكبرى في مسيرة هذا المناضل الوطني و هي إذ توثّق روائيا لأبرز الأطوار المتعلقة بالتاريخ النضالي لهذه الشخصية المراجعة في الرواية. لا تغرق في إيراد التفاصيل والجزئيات التي لا يغفل عنها المؤرخون عادة. إن ما يمكن اعتباره تأريخا روائيا "في كتاب الأمير" سواء تعلق بشخصية القس ديبوش أم بشخصية الأمير عبد القادر الجزائري لا يؤول إلى إثقال النص بالمعلومات التاريخية والإحالات المرجعية التي تروم كتابة التاريخ الفردي أو الجماعي الإقناع بصحة هذا التاريخ. فالإشارات المبثوثة في أبواب الرواية تعدّ منطلقات يتولّد منها فعل القص والتصوير ويجري بعدها السرد حرّا

طليقا من إكراهات المرجع ومن حضوره الضاغط على النص. والدليل على هذا افتتاحية الرواية: إن التاريخ المثبت فيها بصرف النظر عن صدقه التاريخي حين تغلّفه العبارة المصوّرة للسارد ويتشح خطابه بعد ذكر اليوم والسنة بألوان من جميل الكلام بالتشابيه والمجازات يصير غائما فلا يبدو القارئ معنيا به قدر عنايته بحقيقة ما يرسمه النص من مشهد الوفاء يرتسم في حركات جون موبي وفي كلماته ومشاعره.

يتكرر الأمر ذاته في الباب الثالث وفي الوقفة الحادية عشرة "فتنة الأحوال الزائلة" ففي موضع من هذا الباب تبدأ الصفحة هذه البداية التوثيقية 16 أكتوبر 1852[25] لكن تصوير مشهد الطبيعة الخريفية والاستعدادات الخاصة باستقبال لويس نابليون في قصر امبواز زائرا للأمير عبد القادر يغطيَان على التاريخ الذي يتصدر الصفحة. إن المعلنات التاريخية التي ترد في أعلى بعض الصفحات وفي بدايات بعض الأبواب والوقفات أو في غضونها سريعا ما تفسح المجال واسعا أمام الممكنات القصصية حتى لكأنّ هذه المعلنات مجرد قادح لفعل السرد والتصوير، ومجرد لافتة حاملة لأيقونة الكتابة القصصية.

3- مجال السياسية الفرنسية

ليس إيراد التواريخ الخاصة بهذه السياسة كتابة طور من أطوار السياسة الفرنسية وإنما القصد من إيرادها تفسير مجريات الوقائع التي تتحرك بمقتضاها الحبكة القصصية في هذه الرواية. ولعل أول قرينة يذكرها السارد المنظم للبنية الحدثية هي تاريخ دخول السفن الفرنسية ميناء الجزائر في 01 أوت 1835 وبداية الحرب الفعلية بين الجزائريين والفرنسيين[26]، إن هذا التاريخ السابق في الزمان مقارنة بغيره من التواريخ هو القادح الأساسي لبناء الرواية على بعض معطيات التاريخ وهو الذي يفسر مجريات الحركة القصصية الدائرة طيلة أبوابها والوقفات التي عدت في هذه الأبواب فصولا يتقسم بها مداها النصي المتسع.

يلتقط الناظر في كتاب الأمير بعض الإشارات التاريخية الخاطفة من قبيل تعيين بيجوطوماس روبيرت حاكما جديدا للجزائر خلفا للماريشال فالي يوم 22 فبراير

1841 [27] و إحلال النظام الجمهوري في فرنسا في نوفمبر 1848 [28] وانقلاب 2 ديسمبر سنة 1851 وما تلاه من حل نابليون الجمعية الانتخابية [29].

مجمل هذه القرائن التاريخية تمثل العلامات الهادية إلى ما سماه المؤلف في العنوان الفرعي للرواية مسالك أبواب الحديد وهذه القرائن المبثوثة في تلافيف الأثر يمر بها القارىء من حين إلى حين هي التي يتحقق بها منطق القص في الرواية. والدليل على ذلك أن وصول بيجو طاوماس روبرت إلى الجزائر، –وهو الحاكم العسكري المتشدد والمعمر المتحمس للاستيطان الفرنسي في الجزائر والمدافع القوي عن هذه السياسة القائمة على ضرورة إخضاع العرب وتسليط الحرب الشاملة–[30] سيفتح المواجهة العسكرية على مصراعيها وسيضطر الأمير عبد القادر إلى مقاومة حملات هذا الحاكم وإلى تجنب الأضرار التي ألحقتها سياسة الأرض المحروقة التي اتبعها في الحرب على المقاومين الجزائريين.

لم يكن ذكر انقلاب 2 ديسمبر 1851 وحل نابليون الجمعية الانتخابية بعيدا عن منطق القص في الرواية. لقد ترتبت عنه أحداث ما كان لها أن تقع وكانت هذه الأحداث مرتبطة به ارتباط السبب بالنتيجة. وإذا كان مجيء بيجو طوماس روبرت الحاكم العسكري المتشدد إلى الجزائر حدثا سياسيا فرنسيا قوَّى المواجهة العسكرية بين المتحاربين الفرنسيين والجزائريين فآلت إلى الحرب الشاملة التي وعد بها هذا الحاكم[31] وسقطت عديد المدن الجزائرية المقاومة تحت سيطرته وخاصة تكدامت العاصمة الرمزية للأمير، فإن انقلاب 2 ديسمبر 1851 مثل بداية منطق آخر للقص في الرّواية. لقد مثّل هذا التاريخ تحوّلا في السياسة الفرنسية تجاه الجزائر وانتقالا سريعًا من منطق المواجهة العنيفة وإخضاع المجاهدين بقوة السلاح والنار إلى منطق المسالمة والمحادثات بين الطرفين.

إن القرينة التاريخية السابقة بما هي حادثة خطيرة قد مهدت لتسارع الأحداث باتجاه النهاية اتي تعتبر سعيدة في حياة الأمير والمرافقين له. وأبرز النتائج المنطقية التي تولدت من هذه الحادثة زيارة نابليون للأمير في قصر أمبواز وإعلامه بقرار حريته يوم 16 أكتوبر 1852[32]، وتنقلات الأمير عبد القادر إلى كنيسة المجدلية لملاقاة

مونسنيور ديبوش[33] وزيارته لباريس واطلاعه على ذكاء "المطبعة الأميرية" وعلى قوة دار المدافع وتجواله صحبـــة لـــويس نابليون على متن حصانين عربيين رشيقين في فضاء البارك الواســـع سان كلو [34].

لقد حوَل هذا الحدث التاريخي مسار القص من المواجهة والصدام إلى التلاقي والوئام وغدا مسار الشخصية المحورية التي تسمى الأثر الروائي باسمها شبيها بما قام به بعض المصلحين في القرن التاسع عشر لما زاروا بلدان الغرب وخاصة فرنسا، واطلعوا فيها على ثمار الحضارة ومظاهر القوة الجبارة، وعادوا إلى أوطانهم منبهرين بما عاينوه ساعين إلى استقدام هذه الثمار إلى أرض العروبة.

بقي أن نشير إلى أن القرينة التاريخية التي يوردها سارد هذه الرواية تختلف من موضع إلى آخر داخل النص، وإلى أن مسار القص الذي تختطه هذه القرينة لا يكون له التأثير ذاته في المتقبل. إن التاريخ الذي حددته الرواية لتعيين بيجو طوماس روبيرت حاكما عسكريا جديدا على الجزائر بصرف النظر عن إمكان التحقق منه تاريخيا بالوثيقة ولّد متخيلا قصصيا قويا سريع النسق سرعة اليوم العاصف المتحدد بهذا التاريخ (يوم 22 فبراير 1841 كان عاصفا)[35]. فالسرد الذي أعقب ذكر هذا التاريخ ورد متواتر الحركات والمواقف التي برزت إثر إيراد التاريخ الدقيق مشدودة بكثير من التوتر، وتصوير آثار التدمير الناتجة عن سياسة الأرض المحروقة يجيء مختصرا لا تمطيط فيه، والحوارات المتبادلة بين الأمير وبعض خلفائه يغلب عليها الإيجاز والصّرامة. كل هذا يصيّر القراءة انشدادا إلى عنف المتخيل الروائي الذي صورته السينما الجزائرية في فيلم "تاريخ سنوات الجمر للخضر حميني (Chronique des années de braise). وأما ذكر السارد انقلاب 2 ديسمبر 1851 وما أعقبه من وقفات فلم يتولد منه مثل ذلك المتخيل العنيف. فباستثناء اللقاء الذي تم بين نابليون بونابرت والأمير عبد القادر في قصر امبواز يوم 16 أكتوبر 1852 وما تخلله من أجواء حميمية ومن معاملات غير متوقعة بين البرنس الرئيس والأمير الذي كان شبه أسير، تسير أحداث الرّواية لاحقا على هيئة تبدو قريبة من التمثيل والتقرير ومن خطاب التسجيل الذي يعتمد في تدوين الرحلات ووصف الزيارات. قد يكون لجوء السارد إلى هذا الخطاب التسجيلي الذي

تتخلله بعض إلماعات الفن الروائي محكوما بالرغبة في استكمال سيرة الأمير عبد القادر لإبراز جدارته بهذا اللقب بين أتباعه وأعدائه على حدّ سواء. وقد يكون مردّ ذلك إلى وجهة نظر تبناها السارد محصّلها اقتناع بحوار الحضارات وتحاور الأديان في زمان غدا فيه التطرف الديني نزوعا لدى كثير من البشر، وتهديدا لجمال الحياة. غير أن هذا المنظور الروائي الذي جعل السارد يسترسل في متابعة زيارات الأمير داخل باريس وملاقاة نابليون بونابرت لا يشفع ما بدا من إطالة غير مبررة فنيا لهذه الرواية ويقوم هذا دليلا على أن توسل التاريخ والوثيقة والأرشيف في بناء الأثر الروائي يظل محفوفا بالمخاطر إذا لم يستصف الروائي من مواد التاريخ ومتشعب أحداثه ومن سيرة أبطاله ما يكون منها أكثر توليدا للمتخيل القصصي وإحداثا للأثر المفاجئ وإفادة في بناء الحكاية المركّبة من الواقعي والمحتمل ومن الفعل المركّب الذي يجعل المصير قد تم بفضل التعرف أو التحول أو بكليهما معا على نحو ما ذكر أرسطو في كتاب "فن الشعر"[36].

4- تشابك الشخصيات وتوزعها

تشترك رواية "كتاب الأمير" لواسيني الأعرج مع الروايات التاريخية في كثرة الشخصيات وفي إيراد أسماء الأعلام وفي اختيار عنوان واسم للمرحلة التاريخية التي تغطيها الأحداث أو ضابط للعلم الذي يكون محور هذه الأحداث والمحرك الأساسي. والناظر في هذه الرواية يجدها حافلة بشخصيات كثيرة العدد متفاوتة الحضور في عالم الأحداث متضاربة المواقع والمصالح.ويمكن تصنيف شخصيات الرواية على هذا النحو:

أ-الشخصيات الفرنسية صاحبة السلطة والنفوذ:

تحتل هذه الشخصيات أولى المراتب كثرة وتعدد وظائف قصصية وتنوعا في المهام السياسية والعسكرية التي أوكلت إليها، واقتدارا على تغيير مجريات الأمور ويكون مجال فعلها القصصي أرض فرنسا وأرض الجزائر بحسب المهمة التي كلفت بها.

*** الحاكم العسكري :**

تعد هذه الوظيفة أعلى المراتب العسكرية والسياسية في أرض الجزائر وقد شغل هذه الخطة السامية "الماريشال فالي"وبيجو طاوماس روبرت" وكان من دعاة الاستيطان

الفرنسي في الجزائر[37] زحف على مليانة سنة 1841 و"أعطى الأمر بحرق كل المحاصيل وقلع الأشجار وتدمير كل شيء واقف والاستيلاء على رؤوس الأغنام والأبقار والأحصنة"[38].

*** رجالات الجيش :**

يتعدد ذكر أسمائهم برتبهم العسكرية نظرا لطبيعة الصراع الدائر في عالم الرواية بين المجاهدين الجزائريين وجيش الاستعمار الفرنسي ويكون إيراد هذه الأسماء عندما تدور المعارك العسكرية بين الجانبين ويقتصر الذكر على القادة والضباط السامين دون الجنود الذين ينفذون أوامر القيادات العسكرية[39] ويكون إيرادها كذلك في أطوار هدوء المعارك. وتختلف هذه الشخصيات التي قد تكون جامعة بين البعد التاريخي والبعد التخيلي في كيفية حضورها داخل الرواية. فالجنرال رولهيير (Rulhière) وزير الحرب يذكر مرة وحيدة على انه من المعترضين على إطلاق سراح الأمير عبد القادر[40] والجنرالات سانت آرنو (Saint Arnaut) وروكي (Roquet) وأوجين دوما (Eugene Daumas) كانوا مصاحبين للبرنس لويس نابليون لما زار قصر امبواز وأعلم الأمير بقراره القاضي بأنه حر (Je suis venu vous annoncer votre liberté)[41].

والكولونيل دوباري والكولونيل يوسف شاركا في معركة ضد جيش الأمير قرب عين طاحين[42] والكولونيل مونطوبان (Mantauban) والكولونيل مكماهون Mac-Mahon شاركا في الحرب ضد عبد القادر وخططا للقبض عليه [43]. والماريشال "بوجو" وشانقارنيه حضرا مجلسا استثنائيا دعا إليه نابليون لمناقشة وضعية الأمير الذي ظل شبه حبيس في قصر امبواز[44] والماريشال المسن كاستولان (Castellane) الذي سلكت عبره كل فيالق إفريقيا الشمالية بحسب عبارة السارد حرّك على شرف الأمير مفرزة بكاملها لتؤدي له التحية قبل ركوب الباخرة Le Parisien N°1 التي تقله إلى منفاه الاختياري (تركيا)[45].

لهذه الشخصيات العسكرية السامية دور بارز وحاسم زمن الحرب ودور آخر زمن السلم أو الهدنة العسكرية. ويفسر توثيق أسمائها وكتابتها في أسفل الصفحات

باللغة الفرنسية مدى العناية بها بسبب ما أنجزته من أعمال غيّرت مجرى العلاقات بين المتحاربين على أرض الجزائر وأظهرت عظيم موالاتها للسلطة السياسية الحاكمة في فرنسا وبالغ تقديرها للأمير عبد القادر محاربا مستبسلا في القتال وفي إعداد المعارك، ومفاوضا محنكا حازما في الوفاء بعهوده إزاء الخصوم.

ليس يخفى أن حرص السارد على تنظيم شبكة الشخصيات العسكرية الفرنسية وتسمية رجالات هذا السلك الذي كان حضورهم على ارض الجزائر حضورا ضاغطا بسبب طبيعة الفترة التاريخية التي رصدتها الرواية قصصيا، حرص يوهم بالتزوع إلى التوثيق التاريخي، وإلى الإكثار من الإحالات التي تقوّي حضور المرجع في الرواية. لكنّ السارد الذي توكل إليه مهام اختيار المواد القصصية وتحديد الفترات الزمنية وانتقاء الشخصيات الروائية وترتيب منطوقاتها وملفوظاتها، يظهر في هذه الرواية اقتصادا تظل بسببه تسميات الشخصيات العسكرية الفرنسية وذكر أعمالها قرائن نصية عابرة لا تثقل جسد العمل الروائي ولا يكون التمثيل(la représentation) إلا خاطفا. وإذا ما توسع السارد أحيانا في الحديث عن إحدى هذه الشخصيات–على نحو ما فعل في سرده لما قام به الجنرال دوميشال في معركته ضد قبيلة غرابة– وهي من اشد القبائل وفاء للأمير ولسيدي محي الدين، وذلك لما احتلت قواته الخيام وأضرمت النيران في المحاصيل الزراعية وسيقت الأغنام نحو المعسكر والحق بها الكثير من السجناء والنساء والأطفال من اجل تبادلهم عند الضرورة[46]، فانه إنما يتوسع لتصوير قسوة المواجهة بين المتحاربين وفداحة ما يلحق بالجزائريين من تنكيل وانتقام، ولتمثيل المشاهد التي طواها الزمان وبدأت معالمها تغيم وتتراجع خلف حدود الذاكرة.

رجال الدين المسيحيين:

لا تورد رواية "كتاب الأمير" أسماء رجال الدين المسيحيين إيرادها العديد من أسماء الضباط العسكريين بمختلف رتبهم وأعمالهم الميدانية زمان المعارك والرسمية أيام الهدنة الحربية. إن عدد رجال الدين محدود وتأثيرهم في مجريات الصراع العنيف على أرض الجزائر تأثير غير جلي إذا استثنينا ما قام به مونسنيور أنطوان ديبوش من وساطات لتخليص الأمير عبد القادر من وضع شبيه بالأسر.

يبدأ حضور هذه الشخصيات الروحية في الرواية حضورا مبكرا في تاريخ المرحلة التي ترسمت الرواية أوضاعها وصورت أوجاعها. وأول قرينة نصية لهذا الحضور هي تاريخ دخول انطون ديبوش أرض الجزائر صحبة جون موبي خادمه الذي عاشره لمدة عشرين سنة وصاحبه في كل منافيه إلى أن مات[47].

وإذا كانت هاتان الشخصيتان المسيحيتان حاضرتين في افتتاحية الرواية وفي خاتمتها بضرب من الترتيب القصصي المخصوص الذي يتعارض مع الترتيب التاريخي لوقائع الحياة، وهو ترتيب خطي تتعاقب فيه الأحداث-فإن بقية رجال الدين المسيحيين لا يذكرون إلا لماما وخاصة في آخر الرواية لما تقرر نقل رفات المونسنيور أنطوان ديبوش من فرنسا إلى أرض الجزائر. لقد كان القداس الجنائزي الكبير الذي تم تحضيره لتوديع الرفات مناسبة لذكر عدد من رجال الدين المسيحيين: الراهب روسي ومونسنيور بافي وسماحة الكردينال دوبي والأب سوشي وأخوات السان-فانسون دوبال والأب غريغوار السادس عشر الذي عين ديبوش أول قس للجزائر سنة 1838م[48]. إنّ إيراد هذه الشخصيات المعرفة بأسمائها وبمراتبها الدينية داخل الكنيسة يقوي البعد المرجعي للرواية ويتيح التعرف إلى الأجواء المسيحية تعرّفا تقترب به الرواية مـــن التوثيق التـــاريخي أو السوسيولوجي الذي يقدم معلومات تخص الأديان والمذاهب و تحدد طبيعة الممارسات الطقوسية في كل ديانة. لكن كيف يتحول مثل هذا التوثيق إلى تخييل، وإلى أي مدى تنفلت الرواية من إسار هذه التحديدات المرجعية.

في الرواية درجات من تحويل المرجعي تخيليا ومن إكساء الإحالة في النص لبوس الفن الروائي. قد يكون مشهد المرأة التي انبرت وسط الجموع الحاضرة لتوديع رفات المونسنيور ديبوش عتبة دنيا من عتبات العبور من التاريخي إلى الإنشائي. إن تصوير الحالة التي كانت عليها لما قدمت على مونسنيور ديبوش طالبة تخليص زوجها من وضعية السجين، ورغبتها في إنقاذه من موت محتوم، واحتضانها التابوت طويلا مما يضفي على الحادثة أبعادا وجدانية لا يوليها تمثيل التاريخ للوقائع الكبرى والصغرى أهمية و اهتماما.

وأما العتبة العليا لهذا العبور من التوثيق إلى التصوير ومن الإحالة إلى الإيحاء فهي بارزة في سيرة المنسنيور ديبوش وهي مبثوثة في تضاعيف الرواية. إن الوقفة السادسة الموسومة بـــ "مواجع الشقيقين" في بداية الباب الثاني حافلة بتصوير روح البذل ونكران الذات التي تحلي بها هذا القس. لقد استرسل السارد العليم المداخل لهذه الشخصية والمستبطن أغوارها في تصوير هذه الروح المسيحية وَأوكل إلى خادم القس وصفّيه جون موبي إيراد مآثرها: "م يجد الوقت الكافي لتأمل وضعه المعقد من منفى إلى عزلة إلى خوف. الممولون لمشاريعه الخيرية لا يتوقفون عن متابعته لأنه استدان كثيرا لتسيير مشاريعه الخيرية كل يوم يسألون عنه كالسارق بينما كان يعرف أنه إذا لم تتدخل الدولة لمساعدته سينتهي إلى الحبس المؤكد"[49].

وتبرز الأقوال المتبادلة بين ديبوش "ومرافقه الأمين والوفي" جون موبي في أكثر من موضع داخل الرواية أوساع هذه الشخصية. فحين يستعيد هذا السارد الثاني أطوارا من سيرة البذل والعطاء والتضحية التي ميزت هذه الشخصية القصصية التي تركبت من أمشاج التاريخ وغدت شخصية متحركة بأفعالها وأقوالها المعروضة والمباشرة، إنما يستعيد عديد أطوار حياتها تجسيما قصصيا لمعطيات تاريخية قد تثبت صحتها وقد تكون موضوع تزيّد تقتضيه طبيعة القص والتمثيل الروائي لهذه الشخصية. إن استعادة كرامات القس ديبوش على لسان جون موبي بقوة التذكر من قبيل ما ورد في الوقفة المذكورة آنفا مؤشرقوي على بناء الرّواية بتعدد الأصوات السردية وعلى إنشاء حوارية (Dialogisme) تسمـــع فيها أصـــوات تبئر الحدث الواحد انطلاقا من رؤى متوافقة أو متخالفة وهذا بناء للنص يغاير البناء التاريخي الذي يترسم الحادثة تباعا في الزمان بمنظور واحد ولا يستند إلى أي خارق يتجاوز حدود العقل والمنطق.

لقد مثلت قصة التعميد والمباركة التي استحضرها جون موبي في سياق محاورته لديبوش أنموذجا لبركات القس المسيحي من جهة ولمداخلة العجيب لما هو واقعي من جهة أخرى[50] إن التباس الحدود بين القص الحدثي الذي ينقل ما يجري حقا في عالم الناس ومألوف حياتهم والقص التخيلي الذي ينشئه المقام السردي (L'instance narrative) من قبيل قيام المرأة من حالة مرضها في اليوم الموالي لمباركة القس لها،

التباس تُمْحَى بسببه الحدود بين التمثيل والتخييل وبين ما يكون من مجال الإحالة ومن عالم الإيحاء.

وإذا عدّت الأعمال التي قام بها هذا القس متوافقة مع ما تقتضيه منزلته الروحية من استعداد متواصل للعطاء والبذل فإن وصّيته بأن تعود رفاته إلى تلك التربة المقدسة وسط أبنائه في الجزائر ليرتاح بين الناس الذين منحه الله حبهم[51] تبدو وصية مثيرة للدهشة، لما تضمنته من أسمى معاني الوفاء والانشداد إلى أرض الجزائر.

والمتحصل من مقارنة سلوك رجالات الجيش بسلوك القساوسة المسيحيين أنَّ حضور المجموعة الأولى من الشخصيات خاصة حين تشتد المعارك بين المجاهدين وجيش الاستعمار الفرنسي حضور مروع للسكان وللقبائل التي تناصر الأمير عبد القادر بينما يكون حضور المجموعة الثانية حضورا مطمئنا للناس ومواسيا لهم في مصائبهم. وإذا كانت بشاعة الحروب هي المشاهد التي يحصّلها قارئ هذه الرواية وهي مشاهد يتعادل فيها المرجعي التاريخي بما هو متخيل[52] فإن مشاهد التضحية والنجدة والتخفيف من آلام الناس ومن أوجاعهم هي المشاهد التي ترتسم في الرواية كلما حضرت المجموعة الثانية من الشخصيات . قد تكون أغلب الأعمال التي قام بها مونسنيور ديبوش ومرافقه الدائم جون موبي أعمالا من طبيعة مرجعية أضافت إليها الرواية عددا من التفاصيل وأصبغت عليها التلاوين، لكن بصرف النظر عن إمكان التحقق من طبيعتها الإحالية تظل الشخصيات وأعمالهما داخل الرواية قوية التأثير في القراء بقوة البناء والإيهام بالواقعية (La vraisemblance).

يتبع في العدد القادم.

المصـــــــادر:

1- واسيني الأعرج ، كتاب الأمير، مسالك أبواب الحديد ، منشورات الفضاء الحر، الجزائر العاصمة ، الطبعة الأولى 2004.

II-المراجـــع:

باللغـــــــة العربية:

1 – أحمد الجوة + التاريخي والإنشائي في "باب الشمس" لالياس خوري ، مجلة فصول (القاهرة) العدد 63 شتاء وربيع 2004.

+ من خصائص الكتابة الروائية في الزيني بركات لجمال الغيطاني ، مجلة "بحوث جامعية " كلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفاقس العددان 3-4 جانفي 2003.

2 – أرسطو طاليس ، فن الشعر، ترجمة عبد الرحمان بدوي ، دار الثقافة بيروت (د.ت).

3 – حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية 1981.

4 – عبد الرزاق عيد ، محمد جمال باروت، الرواية والتاريخ ، دراسة في مدارات الشرق دار الحوار للنشر والتوزيع ، اللاذقية (سورية) الطبعة الأولى 1991.

5 – فرج بن رمضان ، الدراسة الأدبية للكرامة الصوفية ، أسسها ، إجراءاتها، رهاناتها ، مطبعة سوجيك صفاقس (تونس) الطبعة الأولى 2007.

6 – فيصل دراج ، الرواية وتأويل التاريخ ، نظرية الرواية والرواية العربية، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء –بيروت الطبعة الأولى 2004.

7 – محمد الباردي ، في نظرية الرواية ، سراس للنشر (تونس) 1996.

باللغـــــــة الفرنسية :

1 - Dialogisme et polyphonie, actes du colloque de cerisy, de bock, duculot, Bruxelles, 2005.

2 - Dictionnaire des Genres et notions littéraires, Encyclopaedia Universalis, Albin Michel, Paris, 1997.

3 - Encyclopaedia Universalis Paris 1996 corpus1

4 - Gérard Genette, Fiction et diction , Seuil 1991.

5 - Harold Weinrich, Le temps, Seuil 1973.

6 - L'Algérie Passé et Présent, Yves Lacoste, André Nouschi et André Prenant Editions Sociales, Paris, 1960.

7 - Paul Ricœur, Temps et récit, Tome II, Seuil, 1984.

الهوامـــش:

1 Gerard Genette, Fiction et diction, Seuil, 1991 p.73.

2 Paul Ricœur, Temps et récit, Tomme II Seuil, p.230

3 واسيني الأعرج ، كتاب الأمير ، مسالك أبواب الحديد، منشورات الفضاء الحر (الجزائر العاصمة)الطبعة الأولى نوفمبر 2004.

4 سمير المرزوقي ، جميل شاكر ، مدخل الى نظرية القصة ، ديوان المطبوعات الجامعية –الجزائر الدار التونسية للنشر–سلسلة علامات (د.ت) ص.ص 90-91.

5 يقول الأمير في سياق حواره مع السي مصطفى بن التوهامي : "لقد شاء الله أن تنتهي هذه الحرب ، يجب أن نقبل بهذا القدر قاتلنا مدّة خمس عشرة سنة لانقاذ شعبنا من غطرسة الغزاة ، فماذا يمكننا اليوم أن نفعله في هذه الأوضاع التي نحن فيها ؟ "كتاب الأمير" ص.406.

6 انظر الصفحات 498-499-500.

7 كتاب الأمير الصفحات 9-14-18-22-40-56-58-59-93-100-106-111-120-149-170-202-221-246-266-308-337-367-482-491-495-503-524-546.

8 كتاب الأمير ، الصفحات 546-14-15

9 كتاب الأمير ص 22.

10 نفسه ص 367 ص435.

11 نفسه ص 54 ص482.

12 كتاب الأمير ص 11.

13 نفسه ص 54.

14 نفسه ص 79 والرسالة مؤرخة في 3 رجب 1248 (27 نوفمبر 1932).

15 كتاب الأمير ص 88 .

16 نفسه ص 106.

17 نفسه ص 93.

18 نفسه ص 120.

19 نفسه ص 178.

20 نفسه ص 246.

21 نفسه ص 369.

22 نفسه ص 495.

23 نفسه ص 503.

24 نفسه ص .524

25 كتاب الأمير ص .495

26 كتاب الأمير ص 149 .

27 نفسه ص 266.

28 نفسه ص 47.

29 نفسه ص 495.

30 نفسه ص ص 266-267.

31 كتاب الأمير ص 270.

32 نفصه ص 495 ص 498.

33 نفسه ص 504.

34 نفسه ص 514-ص515.

35 كتاب الأمير ص 266.

36 أرسطوطاليس ، فن الشعر، ترجمه عن اليونانية وشرحه وحقق نصوصه عبد الرحمان بدوي دار الثقافة ، بيروت (د.ت) ص30.

37 مما ورد في خطبة تسلمه لمهامه قوله "لقد بذلت مجهودات كبيرة لاقناع بلادي بالاستيلاء الكلي والنهائي على الجزائر ....والآن يجب احضاع العرب وتسليط الحرب الشاملة .....لا نفع من وراء حملة بدون استيطان سأكون معمرا متحمسا إذا استطعت أن أؤسس لشيء دائم لفرنسا كتاب الأمير ص 266-267.

38 كتاب الأمير ص 269.

39 يختلف هذا الوضع في هذه الرواية عما تضمنته رواية مدارات الشرق لنبيل سليمان التي عنيت في الجزء الأول من هذه الرباعية (الأشرعة ، بنات نعش ، النيجان ، الشقائق) بسيرة الجنود الذين شاركوا في مرحلة قيام الحكومة العربية بعد الحكم العثماني والفرنسي.

40 كتاب الأمير ص 472 .

41 نفسه ص 472 ص 496.

42 نفسه ص 299.

43 نفسه ص 412 .

44 نفسه ص 471.

45 كتاب الأمير ص 511.

46 الرواية ص 96.

47 كتاب الامير ص 10.

48 نفسه ص 546-547.

49 كتاب الأمير ص 211.

50 كتاب الأمير ص 213.

51 نفسه ص 218.

52 من أبرز هذه المشاهد تدمير عين ماضي ص 245.